السود والعنف في أمريكا

بقلم فريدة النقاش

حين تولى ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة الاميركية تحدث عن مشكلة السود في اميركا قائلا : « لا يستطيع الانسان ان يكون حرا تماما بينما لا يتمتع جاره بالحرية ، ولكي نتقدم حقا يجب أن نتقدم معا ، وذلك يعني السود والبيض معا كأمة واحدة لا كأمتين » . وعلق كاتب بريطاني قائلا : « ان ما يجري في أزقة السود في أميركا ليس أقل من ميلاد أمة » .

وتوالت أحداث دامية كثيرة في فترة حكم نيكسون حيث كان عدد كبير من السود المخلفي الاتجاهات قد سئموا السير الطويل والجلوس على الارض احتجاجا واستجداء للحرية والسلام من البيض ، هذا الموقف الذي بناه ودافع عنه بحرارة مارتن لوثر كنغ ، والذي جاء اغتياله علامة على عصر ينقضي وايذانا بميلاد عصر جديد يتولى فيه الاميركي الاسود زمام المبادرة للمرة الاولى في تاريخه ، حيث عرف طريق القنابل والرصاص والمواجهة المباشرة للعدو .

وقصة السود في أميركا قصة طويلة تمتد فصولها الدامية على مدى أربعة قرون طويلة ، انتقل العالم الجديد فيها من جزر مهجورة نائية الى مجتمع ثري ، ثم الى مجتمع صناعي متقدم ـ قلعة للصناعة والمال والتكنولوجيا في العالم . ومع تطور هذا « المجتمع العظيم » كان السود ينتقلون من العبودية المباشرة الصريحة الى عبودية مستترة ، وظل هؤلاء المسرون ملايينا الذين انقطع الاتصال قسرا بينهم وبين تاريخهم وحضارتهم وحتى أسمائهم القديمة ، يعيشون غرباء وضائعين في قلب مجتمع ينظر اليهم بازدراء في مجموعة ، ويضعهم في أدنى درجات السلم الاجتماعي والاقتصادي .

نزل السود الافريقيون الى الشاطىء الاميركي منذ أربعة قرون، ليبيعهم السادة البيض في سوق الرقيق ، فعملوا عبيدا في الارض وخدما في البيوت ، وكانت فقرات القانون الذي ينظم علاقتهم بأسيادهم تقول ان للمولى حقا مطلقا في بيع العبد وكرائه ورهنه والمقامرة عليه ، وعلى العبد أن يطيع ، وليس للعبد حق الذهاب والمجيء الا باذن سيده ، واذا اجتمع في الطريق أكثر من سبعة منهم اعتبروا مخالفين للقانون ، ولا يحق لهم أن يشهدوا في قضية الا على العبيد أمثالهم ، واذا أجبر أحدهم على ضرب الرجل الابيض اتقاء لاذاه ضربا أدى الى مقتل الابيض عد الاسود مرتكبا لجريمة قتل .

وكان هؤلاء العبيد السود المنتزعون قسرا وقهرا من أراضيهم يقطعون رحلة الآلام الطويلة عبر المحيط في مراكب شراعية ، وربما كانت أفران النازي مجرد تطوير فحسب للاساليب الوحشية التي استخدمها الرجل الابيض في قهر الافريقيين وتكديسهم وتعذيبهم عذابا نفسيا وبدنيا يفوق كل خيال .

تقول الروائية الاميركية « هاريت بيتشرستاد » مؤلفة « كوخ العم توم » : « ان تجار الرقيق كانوا يحرصون على علف الزنوج علفا سخيا كل يوم بقصد أن يصبحوا بضاعة جيدة، ورغم ذلك كان الكثيرون منهم ينزعون الى الهزال المستمر » . وتقول على لسان أحد السادة البيض : « أنا لست ممن يصدعون رؤوسهم بتطبيب الزنوج ومعالجتهم، اذ أفضل أن أستهلكهم وأشتري بضاعة جديدة ، تلك هي سياستي ، انها أخف وطأة ، وأنا واثق انها في النهاية أرخص وأوفر » .

ولما كانت ولايات الجنوب هي الولايات الزراعية التي تستخدم العبيد بكثرة ، أصبح الجنوب وما زال حتى الآن معقلا للتعصب العنصري ضد الملونين ، وقبل اندلاع الحرب الاهلية مباشرة والتي كانت صراعا ـ كما يقول المؤرخون الجدد ـ بين مئتين من البيض لاسباب اقتصادية بحتة ، كان المتعصبون الجنوبيون يبررون ضرورة الابقاء على نظام العبيد لانهم غير قادرين فطريا على التعلم ، بينما انطلق رجال الدين البيض يفسرون نظام العبودية تفسيرا مسيحيا : « فالعبودية هي الطريق الوحيد لكي نعلمهم المسيحية وننقل اليهم تعاليم عيسى » .

وحين وقعت الحرب الاهلية لم تتم ـ كما هو شائع ـ من اجل تحرير العبيد (وهي الفضيلة التي يتاجر بها الاميركيون الآن) وانما كانت الحرب بين الشمال والجنوب من أجل السيطرة الاقتصادية على البلاد ، ولم تكن قضية عبودية السود ذات أهمية حقيقية . لقد بدأت الحرب في عام ١٨٦١ ، ولم يوقع لنكولن وثيقة تحرير العبيد حتى عام ١٨٦٢ ، وقال اكثر من مرة انه استطاع أن يحافظ على وحدة الشمال والجنوب دون تحرير العبيد « فأنا أقف في صف المحافظين على المركز المتفوق للجنس الابيض » .

وامتدت عمليات محاربة هذا الجنس الاسود وتضييق الخناق عليه من القوانين حتى عمليات الاغتيال والتعذيب العلنية في الشوارع ، « وكانت قوانين الهجرة تفتح أبواب أميركا للشعوب

الأوروبية وتكاد تغلقها أمام الزنوج والملونين » . وفي سنة ١٧٩٠ كانت النسبة المئوية للزنوج في اميركا ١٩٠٣ ٪ من تعداد السكان ، وتوالى انخفاض هذه النسبة حتى وصل ١٠ ٪ من السكان ، وهؤلاء هم الذين استطاعوا أن يقاوموا عمليات التعذيب الوحشية والاستغلال فلم يلحقهم الموت .

ورغم كل هذا العذاب فان السود اشتركوا في الثورة الاميركية ضد الاستعمار الانكليزي ، وكان في قيادة الثورة رجل أسود يدعى « كريسبس أتاكس » كان يحث مواطنيه البيض على الصمود والنضال في أحد المواقع عند ميناء « بوستن » ولكن أحدهم استدار اليه قائلا : « أيها الاسود المنحط ، ما دخلك أنت في خلافات البيض مع بعضهم البعض » .

ولكن أتاكس مات دفاعا عن الحرية لاميركا ، لكل الاميركيين ، وسقط معه أكثر من خمسة آلاف شهيد أسود كانوا يحلمون جميعا بالحرية والامان والفكاك من أسر الاستعباد الوحشي ، وغنت « فرانس ألن هاربر » في قصيدتها الجميلة « ضع نفسك في أرض حرة » قائلة :

« احفر لي قبرا حيث تشاء
في السهل المنبسط او فوق القلعة العالية
احفر في أي أرض وضيعة
ولكن بجنب أرضا تحمل عبيدا
لا راحة لي مطلقا في قبري
اذا سمعت وقع خطوات عبيد مذعورين
ويكفي أن يرتسم ظل أحدهم فوق قبري الابكم
حتى يتحول الى مكان رهيب » .

لقد خاض السود جميع المعارك الاميركية منذ التحرير حتى الحرب العالمية الثانية ، واجتازوا المحن دفاعا عن « المجد الابيض والثراء الابيض ولم يجنوا شيئا لانفسهم » ، وكما قال الدكتور ديبوا ، أحد المؤسسين الاوائل لحركة الجامعة الافريقية ، في عيد ميلاده التسعين بعد أن هجر أميركا : « عشت في بلادي ما يقرب من قرن كامل ولم أزد عن زنجي » .

وقد ظل الاقتصاد الرأسمالي الاستغلالي جنبا الى جنب مع الفلسفة العنصرية البيضاء الحقيقتين الاساسيتين وراء قضية اضطهاد الزنوج في أميركا طيلة القرون الماضية ، ذلك بالرغم من الاختلافات والتغييرات الجزئية التي طرأت عليها نتيجة لتغير الظروف وخروج المجتمع الانساني نفسه من عصر الاقتصاد الزراعي الى عصر الصناعة .

وتقول الارقام ان ما يقرب من ٧٠ ٪ من السود الاميركيين يقفون في أدنى درجات السلم الاجتماعي والاقتصادي ، فبينما تقف البطالة بين البيض عند حدود ٢٠٤ ٪ نجدها تصل بين السود الى ٧٠٢ ٪ ، وفي الاحياء الفقيرة « الجيتو » ، وهي أحياء الزنوج القذرة المكدسة بالسكان ، تصل نسبة البطالة بين الشبان السود الى ٥٠ ٪ ، ويشكل السود في تعداد ١٩٦٤ حوالي ١١ ٪ من مجموع السكان في اميركا ، ولكن نسبتهم تصل الى ٩ ٪ من مجموع الوحدات العائلية ، فقد وصلت نسبة الاطفال غير الشرعيين بين البيض في عام ١٩٦٦ إلى ٤ ٪ بينما وصلت بين السود الى ٢٦٠٣ ٪ ، ويبلغ متوسط عمر الرجل الابيض ٧١ عاما بينما لا يتجاوز عمر الاسود ٦٤ عاما .

وكل هذه نتائج مباشرة للاستغلال الاقتصادي الجشع الذي تمارسه الاحتكارات الاميركية والنظام الاجتماعي المترتب عليها ضد السود ، ولعل الاحصاءات التي تمثل متوسط دخل الاسرة السوداء مقارنا بمتوسط دخل الاسرة البيضاء ، تعطي الترجمة الحقيقية لمعنى الاستغلال الرأسمالي الابيض :

السنة	متوسط دخل الاسرة البيضاء	متوسط دخل الاسرة السوداء	نسبة دخل الاسرة السوداء الى البيضاء
١٩٥٨	٥٢٠٠ دولار	٢٩١٧	٥١ ٪
١٩٥٩	٥٦٤٢ دولار	٢٧١١	٥٢ ٪
١٩٦٠	٥٨٢٥ دولار	٣٢٣٣	٥٥ ٪

ويجري الدكتور عبد الملك عوده في كتابه « ثورة الزنوج في أميركا » وصفا دقيقا للحالة الاجتماعية المنحطة التي تعيشها اليوم الغالبية العظمى من السود الاميركيين نتيجة لهذه الاوضاع الاقتصادية . ففي « الجيتو » يتكدس العاملون والعاطلون والشرفاء والمنحرفون والرجال والنساء في أوضاع سيئة للغاية ، وينتشر في أوساطهم الفقر والحاجة والهبل والانحراف ، كما تتعقد علاقاتهم مع الاجناس والاقليات والالوان الاخرى ، واذا كان هذا القول ينطبق على الزنوج كمجموعة بشرية فان مشكلات عديدة تواجههم كأفراد ، فالرجل الاسود تواجهه مشكلة البحث عن عمل ، وهنا يصطدم بأوضاع النقابات العمالية التي لا تأخذ حتى الآن بالاندماج بين جميع العمال في تنظيم واحد ، ويترتب على هذا ان متوسط أجر العامل الاسود أقل من متوسط أجر العامل الابيض ، وان نسبة البطالة والتشرد بين الزنوج أكثر ارتفاعا منها بين بيض اللون ، وينتشي بين السود تعاطي المخدرات والجرائم وأوكار البغاء والسكر ، وتزداد نسبة التخلف العقلي بين أطفالهم الذين يفتقرون الى الرعاية الصحية التي يتلقاها أطفال البيض .

ومن الناحية القانونية يعتبر السود أميركيين ولكن أصبح من الواضح بصورة متزايدة ان الولايات المتحدة أخذت تتبلور في شكل أمتين احداهما للبيض والاخرى للسود .

وكان لا بد من البحث عن غطاء فلسفي لهذا الواقع الاستغلالي البشع ، وهذه النظرة العنصرية الرهيبة التي تتعالى على الانسان الاسود وتحتقره بحجة « انه كسول بطبعه وغير قادر على العمل في عالم الرجل الابيض ولهذا يعيش متخلفا » هي التفسير الاخلاقي الذي يقدمه المستغلون تبريرا لعنصريتهم .

وفي تقرير صدر عام ١٩٦٧ للجنة الخاصة التي شكلت لبحث الاضطرابات في صيف ذلك العام ، تؤكد اللجنة ان استجابة السلطة البيضاء للاضطرابات التي وقعت في مناطق السود الفقيرة ، اتخذت شكل أعمال القتل الفعلية ، وقالت اللجنة ان السبب الاساسي والجذري لمشكلة السود هي عنصرية البيض .

ولكن خلف عنصرية البيض المقيتة تكمن الحقائق الاقتصادية ، فالتفرقة العنصرية هي وسيلة أساسية من وسائل جني الارباح وتكديس الثروات ثم اعادة استثمارها منذ نشأة الجنوب الزراعي على أكتاف الرقيق الاسود ، وبعد أن تحولت أرباحه الطائلة الى استثمارات صناعية كبيرة في الشمال ، ولم يكن شيئا عارضا بعد ذلك ان تقوم الاحتكارات الاميركية الكبرى بنقل كثير من مصانعها حديثا الى الجنوب حيث يستطيعون استخدام العمال السود بأجر أقل مما يدفعونه للبيض في الشمال ، فالعامل في ولاية المسيسيبي يتقاضى ما يزيد قليلا عن نصف الاجر الذي يتقاضاه مثيله في ميتشغان ، وفي نفس الوقت فان كبار الصناعيين في الشمال يدفعون أجورا منخفضة للعمال مسلطين عليهم سيف التهديد بنقل المشروعات الصناعية الى

ـ التتمة على الصفحة ـ ٦٦ ـ

السـود والعنف في اميركا

تتمة المنشور على الصفحة ـ ٢٧ ـ

الجنوب ، وهكذا يصبح استنزاف الزنوج المستمر وسيلة لتخفيض مستوى المعيشة بالنسبه للعمال البيض الفقراء .

ويقودنا هذا بالضرورة الى مناقشه موقف العمال البيض من قضية السود الاميركيين ، فمن الغريب ان اكثر الفئات عنصرية في المجتمع الاميركي وعداء للسود هم العمال الفقراء والطبقات الشعبية المنهكة بصفة عامة . ومرد ذلك الى ان البورجوازيه الاميركيه الكبيرة تغذي هذا العداء العنصري بوسائل مختلفة . فمثلا هي تصور لهم ان المنافسين الحقيقيين لهم في لقمة العيش وتحسين مستوى معيشتهم هم الزنوج الذين يعملون كاحتياطي للايدي العامله البيضاء ، وتتم تغذية هذا العداء وشحذه ـ بالاضافة بالطبع الى سيطرتهم على وسائل وادوات الانتاج ـ عن طريق السيطرة الكامله الفكرية والادارية على أجهزة الاعلام من اذاعة وتليفزيون وثقافة .

كذلك فان اضطهاد الزنوج واحقارهم يساعد فقراء البيض نفسيا على تفريغ مراراتهم وحقدهم على المجتمع الذي يدفعهم باستمرار الى عالم غير آمن وغير مضمون ، ويهددهم بشبح البطالة والسكر والجريمة ، فيصبح السود موضوعا دائما لحقدهم ، وشيئا أدنى يحسون ازاءه بالتفوق الذي لا يستشعرونه تجاه أي شيء آخر .

وتغذي البورجوازية الكبيرة هذا الاحساس بالتفوق حتى يقف حائلا بين التقاء هذه العناصر جميعا حيث تهيىء لها الظروف الموضوعية أرضا للالتقاء من أجل الثورة وتغيير تركيب المجتمع الاميركي واعادة توزيع الثروة . ويهدد شبح هذا الالتقاء كل المصالح الرأسمالية الكبيرة ، اذ تصبح الثورة الطبقيه حينئذ قوة لا مرد لها تجرف كل شيء وتتخطى كل الحواجز .

يقول الدكتور ديبوا : « ان العمال الاميركيين البيض يكرهون العمال السود ويمنعونهم من الانتظام في المنظمات والنقابات العمالية، وان ثورة البروليتاريا البيضاء لا تحل مشكلات البروليتاريا السوداء، او انه لا بد من الاعتراف بتقسيم طبقي وتقسيم لوني » .

ويقول ليون تروتسكي عن القومية السوداء والحكم الذاتي : « ان الانقسام بين العمال السود والعمال البيض لا يمكن معالجته حتى ينضم العمال البيض الى العمال السود في نضال مشترك ، وحتى يأتي هذا الوقت لا يستطيع السود أن ينظروا الى البيض على انهم أصدقاء » .

ان المجتمع الابيض في اميركا يشارك بكل طبقاته وتنظيماته في استغلال الملونين ، حتى الحركة الشيوعية في رفضها الاعتراف بحقيقة المشاعر العنصرية لدى العمال البيض تقفز فوق الواقع وتتجاهله وتضل طريقها عندما تواجه مشكلة الملونين .

ويقول ستوكلي كارمايكل : « ان الحزب الشيوعي الاميركي هو حزب البورجوازيين والاعيان الذين يستفيدون من النظام الرأسمالي ، فلديهم بيوت جميلة والعديد من الخدم ، ويربحون أموالا كثيرة ، وعلاقاتهم طيبة مع القادة ، ولو ان ماركس ولينين كانا في الحزب الشيوعي الاميركي لتحولا الى رأسماليين » .

وازاء هذا الرفض من المجتمع الابيض ـ حتى طبقاته المستغلة ـ للزنوج واصراره على احتقار آدميتهم ، واستغلالهم ، كان لا بد للملونين من الحركة المستقلة القائمة على أساس اللون والمتعصبة ضد البيض أحيانا . وبالفعل ظهر كثير من الزعماء (ديبوا ، وغارمن) في مطلع هذا القرن ، وظهر ايضا عديد من التنظيمات السوداء مثل المنظمة القومية لتقدم الملونين التي قادها الدكتور وليام ديبوا ، ومؤتمر قيادات الجنوبيين المسيحيين ، والرابطة القومية للعمل في البيئة الحضرية ، ومجلس المساواة العنصرية ، ولجنة تنسيق العمل الطلابي ، وحركة امة الاسلام السوداء .

وبدون الدخول في تفاصيل هذه التنظيمات وخلافاتها ، فانه يمكن ملاحظة ثلاثة تيارات رئيسية برزت خلال حركة الزنوج الاميركيين :

التيار الاول الذي برز مع بداية هذا القرن ، يمثل رد فعل عنيفا وحادا ومتعصبا أيضا ضد العالم الابيض. يقول ماركوس جارفي، أحد أنبياء هذا التيار : « نحن أحفاد شعب طالما عانى وما أكثر ما تألم . ولكنه الان ، قد صمم على ان يضع حدا لآلامه . اننا منذ هذه اللحظ سنوحد الاربعمائة مليون زنجي الموجودين في هذا العالم في منظمة واحدة لنرفع علم الحرية في سماء القارة الافريقية . فاذا كانت أوروبا للاوروبيين ، فان افريقيا ستكون موطنا للشعوب السوداء » . وقال جارفي أيضا عام ١٩٢٠ : « انني أعتقد في جنس أسود نقي ، تماما كما يؤمن البيض في جنس ابيض نقي » .

وكتب ديبوا عام ١٩١٩ : « ان الحركة الافريقية تعني بالنسبة لنا ما تعنيه الحركة الصهيونية بالنسبة لليهود ، تركيز جهود جنسنا والاعتراف بمنبعنا الجنسي » .

ونادى جارفي وغيره « بتزنيج » كل شيء حتى الدين . وفي سبيل نشر ديانة سوداء ، كان أحد أنصاره وهو المطران الكسندر يقول : « تناسوا الالهة البيض وانزعوهم من قلوبكم » .

وأعلن راهب بروتستانتي أسود : « ان المسيح اسود » . وما ان جاء عام ١٩٢٤ حتى كانت « صورنا عذراء سوداء ، ومصلوب أسود ، شائعتين بين الزنوج معلقتين في كل صدر ، وفي كل بيت تقريبا » . وفي نفس العام أصدر المطران ألكسندر بيانا دعا فيه الزنوج « الى تخصيص يوم يمزقون فيه جميع الصور التي تمثل العذراء البيضاء بعد ان ينزعوها من بيوتهم ». وقام لهذه الحركة شعراء وكتاب تولوا الدعوة لها ، فكتب ارماتور :

الهنا أسود
سواده من السواد الخالد
شفتاه غليظتان
شعره مجعد وعيناه بنيتان لامعتان
نحن خلقنا على صورته
الهنا أسود .

وفي عام ١٩٣٠ نشأت حركة المسلمين السود ، تحمل بصمات هذا التيار بوضوح ، وتمجد العرق والسلالة . وتزعم هذه الحركة الحاج محمد يساعده مالكولم أكس . وتطورت الحركة بسرعة ، فأنشأت الجوامع والمدارس الخاصة بالمسلمين ، وتزايد أنصارها حتى بلغوا (٢٥٠٤٠٠٠) من الاعضاء « ودخل كثير من الزنوج في الاسلام نتيجة لاحساس عميق بأن المسيحيين قد خذلوهم » .

وكونت الحركة الجديدة ـ التي نجحت في اصلاح كثير من الشباب ـ مجتمعا متماسكا للمنتمين اليها « فهم يتزاوجون فيما بينهم ، ويتاجر بعضهم مع بعض ، ولا يشربون الكحول ، ويطبقون كثيرا من تعاليم الدين الاسلامي » .

وكان موقف المسلمين السود هو الرفض المطلق للمجتمع الاميركي القائم . فهم لم يشاركوا في المظاهرات او الاحتجاجات او الانتخابات. وردد زعماء هذه الحركة شعارات الجنس المختار ، مع اختلاف واحد عما يقوله البيض ، هو انه في هذه المرة الجنس الاسود « فليس سوى الانسان الاسود . انه الاول والاخير والصانع والمالك لهذا الوجود ، منه انحدر الجميع : الاسمر والاصفر والابيض » .

ويقول الحاج محمد في مقال له : « الوحش البشري ، الحية ،

التنين ، الشر ، الشيطان ، كل هذه تعني شيئا واحدا ، وواحدا فقط ، انه الرجل الابيض القوقازي الذي يطلقون عليه اسم الاوروبي أحيانا . ولما كان البيض بفطرتهم خلقوا كذابين قلة ، فانهم خصوم الحق والصلاح » .

وبالرغم من الطبيعة العنصرية المتعصبة لهذا التيار بشكل عام ، فان كثيرا مما طرحه لعب دورا هاما في فكر الحركات الحديثة . فالربط بين كفاح السود في اميركا وافريقيا ، هو ما يدعو اليه كارمايكل حاليا بصورة متطورة عندما يربط كفاح الملونين في اميركا بكفاح العالم الثالث. بل ان حركة المسلمين السود أفرزت نيارا غير متعصب تزعمه مالكولم اكس الذي ترك الحركة وأسس هيئة جديدة باسم منظمة التضامن الافريقي الاسيوي ، وأعلن انه ترك هذه الحركة لاعتقاده انها متعصبة « وان هذا التعصب قد ينتهي الى تجميد عملها النضالي ، ولذلك فسوف نقبل في صفوفنا المسيحيين واليهود السود ، بل اننا سنقبل الملحدين . وهكذا لن نقبل كل السود فحسب ولكننا سنضم المسلمين البيض ، لان اللون ليس عامل تمييز في نظر الاسلام . ولكن في الوقت الذي يقود التعصب العنصري الاعمى اميركا في طريق الانتحار والدمار ، فانا آمل أن يتفهم الجيل الصاعد من البيض الرسالة التي ننقلها اليه » .

ولكن مالكولم اكس اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥ ، وقيل ان المخابرات الاميركية هي التي قتلته .

وفي بداية الخمسينات لم يعد هذا التيار هو التيار الاساسي في حركة الزنوج ، كان هناك نيار آخر قديم أخذ ينمو ويشتد ويتعارض معه ، وهو تيار النضال السلمي واللاعنف بزعامة مارتن لوثر كنغ . ويرى هؤلاء انهم جزء من الحضارة والمجتمع الاميركي ، وعليهم العمل من خلال القوانين والتشريعات ، وباسلوب الاحتجاج السلمي من أجل الحصول على المساواة الكاملة . وهدفهم النهائي اعتراف الرجل الابيض بهم في اطار ما هو قائم .

ويرى لويس لوماكس ، وهو أحد المؤرخين لثورة الزنوج ، ان هذه الحركة بدأت حين رفضت سيدة ملونة « روزا باركس » أن تمتثل لامر تلقته من سائق أوتوبيس ابيض في مدينة مونتغمري بولاية الاباما في الجنوب ، حين قال لها بعنف أن تترك مكانها للرجل الابيض الواقف أمام مقعدها . ورفضت السيدة العجوز ذات الخمسين عاما (وكانت السيدة روزا قد فاض كأسها) . واعتقل البوليس هذه السيدة . وانتظم السود في حركة مقاطعة تامة للاوتوبيسات في هذه الولاية . ومن خلال هذه المقاطعة توصل الزنوج في مونتغمري بقيادة الاب مارتن لوثر كنغ ، الذي لمع لاول مرة كزعيم سياسي ، الى تأليف مؤتمر الجنوبيين المسيحيين ، كمنظمة سياسية تعمل بوسائل اللاعنف لحل قضية السود .

واكتسب هذا التيار أنصاره من بين ما يسمى « البورجوازية السوداء » ، وهي تسمية تطلق على الزنوج الاميركيين الذين ارتفعت مستويات دخولهم الى مستويات البيض . لقد حدثت التفرقة الجديدة بعد « التحرير والهجرة الى المدينة وقامت على أساس الوظيفة ومصدر الدخل ودرجة التعليم ونوع المهنة . ومن داخل هذه التفرقة الجديدة نشأت البورجوازية السوداء التي أتيحت لها فرص تاريخية لتولي زعامة الزنوج والتحدث باسمهم . وهذه الفئة البورجوازية اتخذت أنماط معيشة البيض وعلاقاتهم وقيم حياتهم نموذجا . وأوغلت في التعلق والتطلع الطبقي والفكري والاجتماعي » .

ويشير فرازير في مؤلفه « النيغرو في الولايات المتحدة » الى ان هذه القلة الزنجية من الطبقات المتوسطة تسيطر عليها الرغبة في أن تصبح بيضاء اللون والفكر والقلب والمركز الاجتماعي . وفي رأيه انها اميركية في كل شيء ما عدا اللون الذي يفصلها عن البورجوازية الاميركية البيضاء . وان هذه البورجوازية السوداء تنقصها الثقافة وليس لديها شوق للمعرفة . وأقصى ما تريده هو المركز الاجتماعي والظهور في مجالات ووسائل الاعلام والسينما والاماكن العامة . وكان « مارتن لوثر كنغ » منذ توليه زعامة مؤتمر قيادات الجنوب المسيحية يرتبط اكثر فاكثر بالليبراليين البيض الذين يجدون في مشكلة الزنوج المتفاقمة أمرا لا بد من ايقافه قبل أن يتحول الى ثورة عارمة مدمرة .

وكان هؤلاء الليبراليون البيض المنفتحون من الحزب الديمقراطي يشعرون انه استكمالا لمظاهر التقدم والتحرر لا بد أن يكونوا لا عنصريين ! ومن هنا ساعدوا ماديا ومعنويا حركة « كنغ » واستيفوها دائما في اطار ما هو قائم ، وهو الاسلوب المعروف « لتبريد الثورة واحتواء حركتها ببعض التنازلات والمعونات » .

وبقدر نجاح هذه الحركة بين الاقلية الزنجية المتبرجزة ، كانت جموع العاطلين والفقراء من الزنوج يتعرضون لمزيد من الضياع ويحتاجون اكثر فاكثر لمن يعبر عنهم ويفهم مشكلاتهم الحقيقية ويبحث معهم (وليس مع مستغليهم) عن مخرج من محنة أربعة قرون . لقد بحثت الحركة عن العدل في اطار النظام ، ولم تحاول أبدا تغييره . وأصبحت مسيرات ومظاهرات الاحتجاج والمقاطعة ، والتي انضم اليها آلاف البيض « الذين لم يعرفوا أبدا ماذا يعني أن يكون الانسان أسود في المجتمع الاميركي » ، هي وسائل النضال الوحيدة .

ولم يؤد النضال السلمي في النهاية الى أية نتائج حاسمة . ولم يستطع السود الاميركيون من خلاله أن يتوصلوا الى مقابل عادل لكل ما بذلوه من عرق ودماء في بناء الحضارة الاميركية . وأخيرا اغتيل مارتن لوثر كنغ « أفضل أصدقاء البيض من السود » والرجل الذي وافق في صيف عام ١٩٦٧ على ارسال القوات الفيدرالية لقمع حركة الزنوج التي اشتعلت في ديترويت وامتدت الى كثير من الولايات في اميركا ، وأصدر باسم حركته بيانا يؤيد فيه اسرائيل ضد « العنصريين » العرب في حرب حزيران ١٩٦٧ .

اما التيار الثالث والذي يكسب يوما بعد يوم أرضا بين ملايين الزنوج ، فهو تيار الثورة المسلحة والعنف الاسود في مواجهة القهر الابيض . وانبثق هذا التيار من أحد المنظمات الطلابية « لجنة التنسيق الطلابي السلمي » التي برز في قيادتها في السنين الاخيرة « راب براون » و « ستوكلي كارمايكل » و « الدريدغ كليفر » ، والتي تدعو الى السلطة السوداء .

والسلطة السوداء تعني باختصار شديد أن يتوصل السود بنضالهم المسلح الى حكم أنفسهم بأنفسهم في المناطق التي يشكلون فيها أغلبية . ويقول كارمايكل : « اننا جزء من نضال العالم الثالث من أجل التحرر . لاننا في الحقيقة مجرد مستعمرات داخل الولايات المتحدة الاميركية . أما بلدان العالم الثالث فهي مستعمرات في الخارج . ونفس النظام الذي يستغل شعوب العالم الثالث هو الذي يستغل الزنوج ويعذبهم ويحتقرهم . ان نضالنا من الداخل هو امتداد حتمي لنضال الشعوب في فيتنام وكوبا والشرق الاوسط » . وتعد فيتنام بمثابة الهام للسود الاميركيين الذين لديهم وعي سياسي ، حيث ان هذه الدولة الصغيرة غير البيضاء التي تعاني من الضربات المتتالية ، نجحت في مواجهة قسوة النيران المركزة للآلات الحربية الاميركية دون أن يصيبها التصدع .

ويرد كارمايكل على ضرورة توحيد نضال السود المضطهدين مع

نضال العمال البيض لتقويض الرأسمالية الاميركية ، بالرفض مستندا الى سببين :

١ ـ العنصرية البغيضة المتأصلة والمتوارثة في قلوب البيض ، خاصة العمال ، والتي تؤكدها أجهزة الفكر والاعلام المسيرة من طرف الرأسمالية الاميركية البيضاء .

٢ ـ ان هؤلاء مستفيدون من وجود الاستنزاف الاميركي لثروات شعوب العالم الثالث . ولن يتكون لديهم ضمير ثوري يدفعهم دفعا الى التحالف مع السود الا حين تنجح الضربات المتتالية التي يوجهها العالم الثالث للاستعمار الاميركي في أن يقضي على احتكاراته واستنزافه لثرواتها . حينئذ فقط سوف تكون أميركا مضطرة لان تعيش على ثرواتها الخاصة . ولن يستمتع العامل الابيض بعد ذلك بفائض الجهد والعرق الملون خارج الحدود ، وبعائد المواد الخام الرخيصة .

« ولن نقف نحن مكتوفي الايدي حتى يأتي ذلك اليوم . وانما سوف نقوم بدورنا . وعلينا أن نعد أنفسنا منذ الآن . ان ٤٠ ٪ من الجنود الاميركيين العاملين في فيتنام هم من الاميركيين السود . وقد تعلم اخواننا القتل بصورة علمية . وسوف تكون هذه التجربة مفيدة لنا في نضالنا بالداخل » .

ويسمي كارمايكل السود في اميركا بالافريقيين الاميركيين . ويصف تحوله الى هذه السياسة العنيفة فيقول : « صعقت في مدينة مونتغمري بولاية الاباما عندما شاهدت امرأة زنجيه حبلى تسقط من جراء نفخة قوية انطلقت من الانبوب الخاص باطلاق الحرائق . وشاهدت عشرات الرجال والنساء تدوسهم حوافر خيل الشرطة . وفجأة اختلط كل شيء أمامي وأخذت أصرخ . ولم أسكت حتى وضعوني في الطائرة . وفي ذلك اليوم عرفت انني لا يمكن ان ألقى الضربات دون ان أردها . ان اطلاق وصف اللاعنف على حركتنا ، كان مجرد تكتيك وضعناه في انتظار استكمال العدة للثورة » .

واستقطب هذا التيار عددا متزايدا من السود ، وأصبح الفرس الذي تراهن عليه القوى الثورية من الملونين في اميركا . فبعد أن قطع الاميركيون السود أشواطا طويلة في النضال السلمي والعنيف ، واستمر هذا النضال ممزوجا دائما ، وطيلة أربعة قرون بالدم ، ما زالوا يعيشون في حالة الحصار والغربة . ولم يعد امامهم الا طريق العنف الثوري اختيارا أخيرا ومحتما .

ويدعم من هذا الاختيار انه يأتي في الوقت الذي تواجه فيه الولايات المتحدة الاميركية ازمة اقتصادية تهدد بالانفجار يوما بعد يوم . وتزداد فيه ضربات الشعب الفيتنامي وتقترب المعركة هناك من النهاية . وتدخل حركة التحرر الوطني في صدامها مع الاستعمار بزعامة الولايات المتحدة ، طورا جديدا ، ويتأكد اصرارها على طريق التنمية والتحول الاشتراكي ، تؤازرها مساندة فعالة من العالم الاشتراكي الذي يزداد قوة ورسوخا سنة بعد اخرى . كل هذا يفت من عضد البناء الرأسمالي ، ويفتح الطريق امام ملايين السود في الداخل الاكثر فقرا ، والاكثر ثورية ، والذين وضعوا أقدامهم بوضوح على أعتاب الثورة المسلحة .

ولكن هناك نضالا طويلا وشاقا في المرحلة ما بين الكفاح المسلح والممارسة العملية المؤثرة . ان حركة القوة السوداء تحتاج الى المزيد من الوضوح الفكري ، والى التخلص من عادة الفاء الشعارات البراقة ، وأن تجهد لكي تربي عددا متزايدا من القيادات والكوادر الواعية ، حتى لا تنتهي الحركة باغتيال زعيم أو اعتقال آخر أو اختطاف ثالث ، وهي الاساليب المعروفة لوكالة المخابرات الاميركية ... وحتى لا تكون مجرد هبة للعبيد سرعان ما تنطفىء . فالثورة لا تتم بمجرد توفر المناخ والظروف والاقتناع ، وانما تحتاج الى استراتيجية واضحة وتنظيم قوي متماسك ، وثوريين (محترفين) ، والى ايمان صوفي من الملايين يستعذب الموت في سبيل الهدف ، حتى لا تتعرض الحركة للتراجع او التوقف . فالثمن المطلوب فادح والتضحيات بالغة الضخامة ، ربما توازي أو تفوق كل ما دفعه الزنوج خلال نضالهم الطويل عبر القرون الماضية .

فريدة النقاش

شعر
من منشورات دار الآداب

		ق.ل
سفر الفقر والثورة	عبدالوهاب البياتي	٢٥٠
اباريق مهشمة	=	٢٠٠
الذي يأتي ولا يأتي	=	٢٠٠
الموت في الحياة	=	٢٥٠
كلمات لا تموت	=	٢٠٠
النار والكلمات	=	٢٥٠
الكتابة على الطين	=	٢٠٠
العصافير تموت في الجليل	محمود درويش	٢٠٠
الناس في بلادي	صلاح عبدالصبور	٢٥٠
اقول لكم	=	٢٥٠
احلام الفارس القديم	=	٢٥٠
مأساة الحلاج	=	٣٠٠
لم يبق الا الاعتراف	احمد عبدالمعطي حجازي	٢٥٠
ديوان ابراهيم	ابراهيم طوقان	٣٥٠
المسرح والمرايا	ادونيس	٦٠٠
قصائد ليست محددة الاقامة	سالم جبران	٢٠٠
بعيدا عن السماء الاولى	سعدي يوسف	٢٠٠
علي محمود طه (مختارات من شعره) اختارها وقدم لها	صلاح عبدالصبور	٢٥٠
ابراهيم ناجي (مختارات من شعره) اختارها وقدم لها	احمد عبدالمعطي حجازي	٢٠٠
بدر شاكر السياب (مختارات من شعره) اختارها	وقدم لها ادونيس	٢٥٠
نخلة الله	حسب الشيخ جعفر	٢٠٠